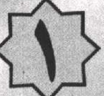
سلسلة السيرة النبوية



طفولة الرسول

إعداد : مسعود صبري

رسوم : ياسر سقراط

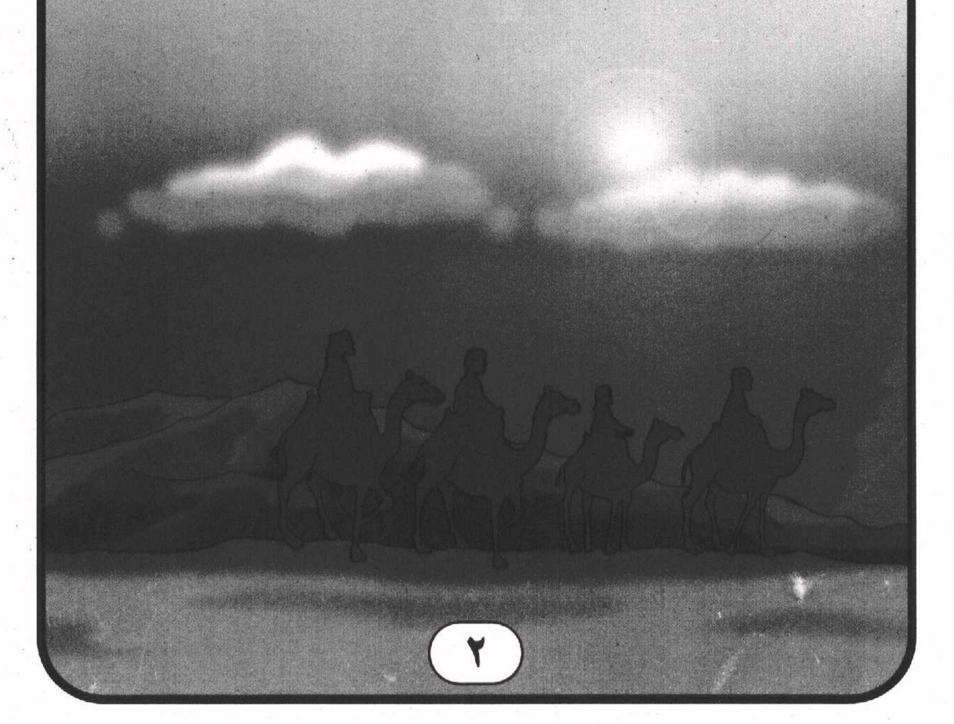
رقم الإيداع: ٢٠٠١/١٨٠٠١



حكاية زواج هاشم

وعندما اشتد الفقر والجوع بالناس في مكة، فكر عمرو بن مناف (هاشم جد النبي)، في أمر يفرج به عن أهله، فكان يسافر إلى الشام صيفاً، وفي الشتاء إلى اليمن يتاجر كي يتأتي بالطعام لقومه، فكان أول من علم أهل مكة التجارة إلى الشام واليمن، وقد ذكر الله تعالى هاتين الرحلتين في سورة قريش.

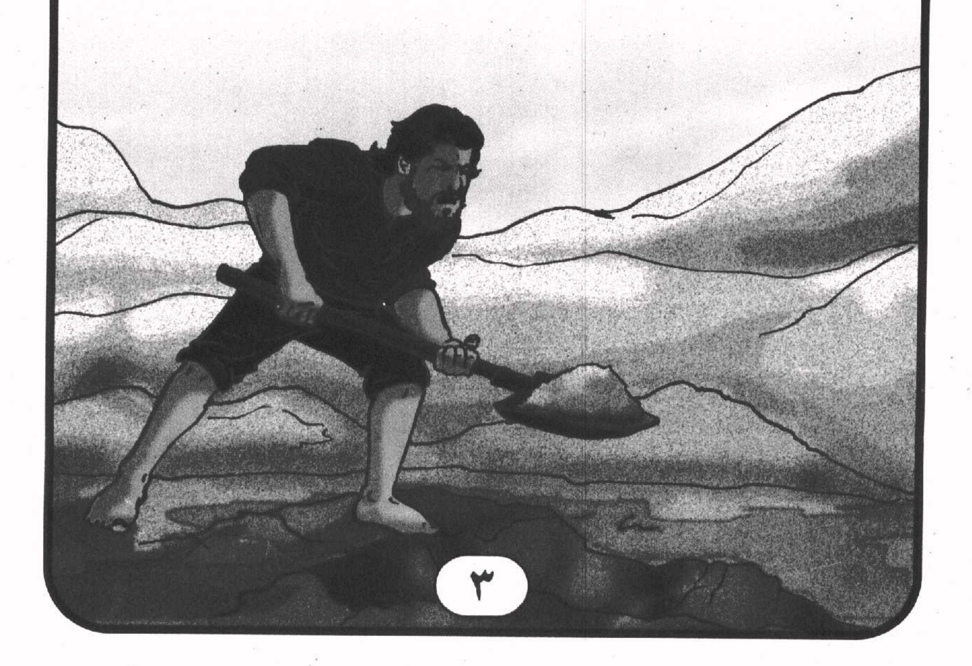
وفي إحدى المرات، وعندما كان هاشم مسافراً إلى الشام، مر بيثرب (المدينة)، فتزوج سلمى بنت عمرو، إحدى سيدات بني النجار، وتركها وهي حامل بابنه عبد المطلب، لتلد بين أهلها الذين كانوا قد اشترطوا عليه أن تلد سلمى بينهم.

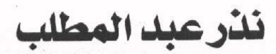


حكاية بئر زمزم

ومرت الأعوام، وولدت سلمى بنت عمرو عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم، وكبر عبد المطلب، وقدر الله له أن يعيش في مكة بلد أبيه، وكان عبد المطلب يسقي الحجيج الذين يأتون للحج بمكة، ويقوم بخدمة بيت الله الحرام، فالتف الناس حوله، وجعلوه زعيماً لهم.

وكان عبد المطلب يحب بيت الله الحرام، وكان قد سمع عن بئر زمزم التي حُفِرت، فتمنى أن يعرف مكانها ليعيد حفرها من جديد. وفي ليلة من الليالي، رأى عبد المطلب في المنام من ينادي عليه قائلاً: احفر بئر زمزم. وتكرر هذا الأمر أكثر من مرة، ورأى مكانها في المنام. فأخبر قومه بذلك، فاستهزئوا به، ولم يصدقوه، ولم يكن عند عبد المطلب إلا ولد واحد، اسمه الحارث، فطلب منه أن يساعده في حفر البئر، فقام عبد المطلب وابنه الحارث يحفران بئر زمزم.



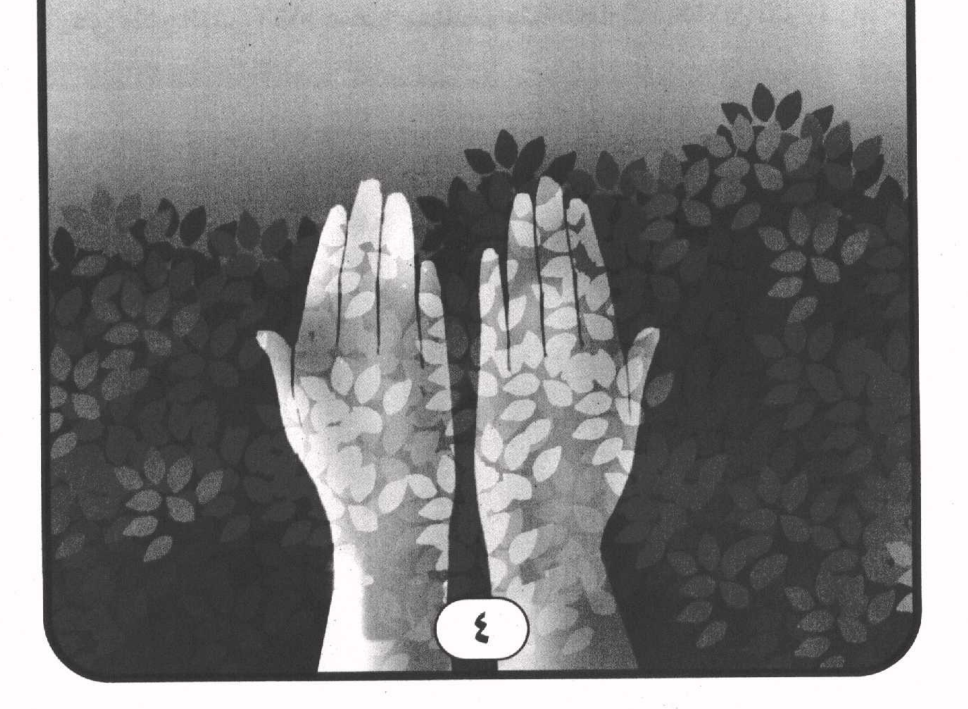


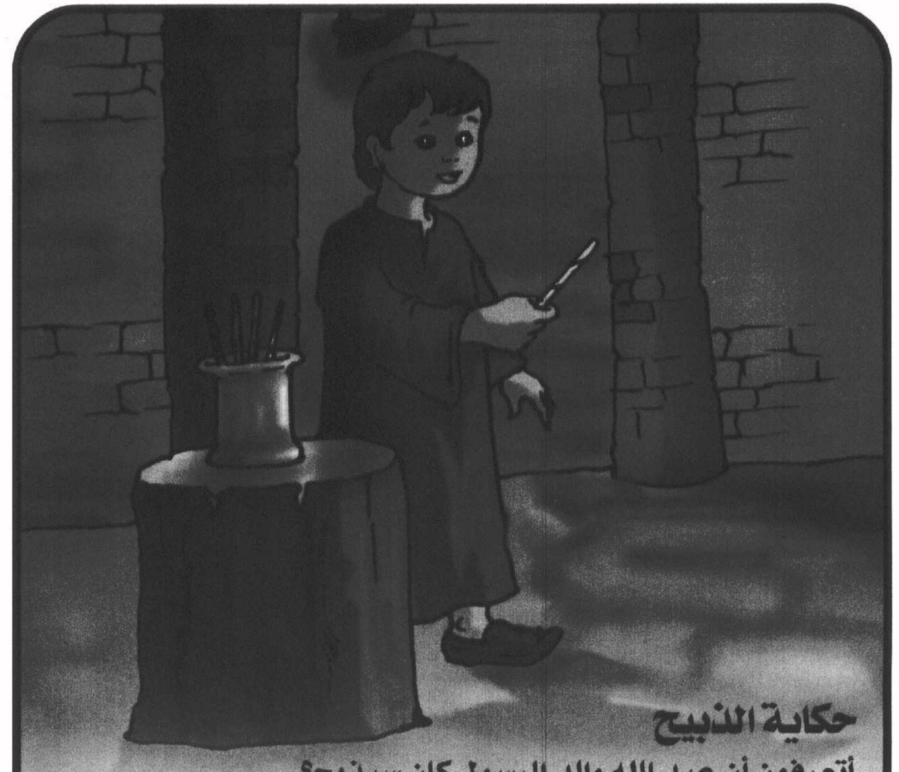
نذر عبد المطلب

وعندما أُعيدت البئر مرة أخرى، قاسمه قومه فيها، فأحس بالظلم والضعف، فقد شاركه قومه في البئر التي حفرها، لأنه ليس له أولاد إلا الحارث، فرفع عبد المطلب يديه إلى السماء، يدعو الله تعالى أن يرزقه عشرة من الأولاد.

ونذر إن أعطاه الله عشرة من الأبناء أن يذبح واحداً منهم، تقرباً إلى الله تعالى.

وكان ذلك بالطبع قبل الإسلام، ولم يكن يعرف عبد المطلب أن ذبح الولد حرام، ولكنه كان يقصد أن يتقرب إلى الله بذبح أغلى من عنده وهو ولده.





حكاية الذبيح

أتعرفون أن عبد الله والد الرسول كان سيذبح؟

لقد مرت سنوات على عبد المطلب، وقد استجاب الله دعاءه، وحقق رجاءه، فقد رزقه عشرة من الأولاد، فأحس بنعمة الله، وفرح فرحاً شديداً، فإن أولاده سيساعدونه، ويكونون له عوناً، لأن العرب في العرب في الجاهلية كانت القوة هي التي تسودهم، فالقوي يأكل الضعيف، ولكن ظهر الحزن على وجه عبد المطلب، فقد تذكر نذره ووعده أن يذبح واحداً من أولاده إن رزقه الله عشرة من الأولاد. وقرر عبد المطلب أن يضحي بأحد أولاده، كما وعد الله بذلك، وفكر عبد المطلب من يذبح من أولاده؟ ولكنه ترك الأمر لله، فأجرى قرعة بين أولاده، فكانت المفاجأة، لقد خرج سهم عبد الله أصغر أولاده، وأحبهم إلى قلبه، فأعاد القرعة، ولكنها كانت كل مرة تخرج على عبد الله.



فداء عبد الله

فظل عبد المطلب مهموماً، ماذا يفعل؟ لقد خرجت القرعة على أحب أولاده إليه وأصغرهم، إنه عبد الله فاستشار قومه، فأشارت عليه كاهنة أن يفتدي ولده بالإبل، فيجري القرعة بين عبد الله وعشرة من الإبل، فإن خرجت القرعة على الإبل، وعمل عبد المطلب بنصيحة الكاهنة، فكانت القرعة تخرج على عبد الله، فكان يزيد عدد الإبل، حتى بلغت مائة، وعندئذ وقعت القرعة على الإبل، فذبح عبد المطلب مائة من الإبل، فداء لولده عبد الله، ووزعها إلى الفقراء والمساكين، وأطعم أهله وعشيرته، وحمد عبد المطلب الله على نجاه ابنه عبد الله، فأخذه في حضنه، وغمره بعطفه وحنانه.

حكاية زواج عبد الله

وكبر عبد الله بن عبد المطلب، وكان أكرم شباب قريش، وأحسنهم أخلاقًا، وأجملهم منظراً، ورأى عبد المطلب ولده قد كبر، ففكر في أن يزوجه، لأن الزنى كان منتشراً بين العرب في الجاهلية، لكن عبد المطلب كان يربي أولاده على العفة والطهارة، فرشح له عبد المطلب أن يتزوج آمنة بنت وهب، أطهر نساء بني زهرة وسيدتهم. وتزوج عبد الله من آمنة، وكانت مكة كلها فرحة بهذا الزواج المبارك بين رجل صالح وامرأة صالحة. وعاش عبد الله مع آمنة بضعة شهور، واستأذنها في الخروج للتجارة، ولكن عبد الله مات في الطريق في المدينة، وكانت آمنة حاملاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما عادت القافلة انتظرت آمنة زوجها، ولكنه لم يَعُدْ، فقد علمت أنه مات، فحزنت عليه حزناً شديداً ، وحزن عليه أبوه عبد المطلب، وانتظر الجميع ميلاد ابن عبد الله.





حكاية حادثة الفيل

ومات عبد الله، وعاشت آمنة في بيت زوجها تنتظر مولودها. وفي يوم من الأيام، خرج أهل مكة خائفين، فقد علموا أن أبرهة قد أتى بجيش كبير يتقدمه فيل ضخم ليهدم الكعبة بيت الله الحرام، وكان أبرهة قد أخذ إبلاً لعبد المطلب، فطلب عبد المطلب أن يقابله، فلما كلم عبد المطلب أبرهة، قال له: لقد أخذت إبلاً مني، فردها إليَّ. فقال أبرهة: حسبتك جئت لتقول لي لا تهدم البيت الحرام. فرد عليه عبد المطلب. أما الإبل، فأنا صاحبها، وللبيت رب يحميه.

وكان أبرهة يقصد بهدم الكعبة أن ينصرف الناس عنها، ليحجوا إلى الكنيسة التي بناها في اليمن. وخرج أهل مكة إلى الجبال، ودخل أبرهة بجيشه، ومعه الفيل الضخم، وتقدم نحو الكعبة ليهدمها، ولكن الله أمر الفيل ألا يتحرك، ورقد الفيل، فكانوا يضربونه، ولكنه أصر على ألا يتحرك، وأرسل الله طيراً صغيرة، تحمل في أرجلها حجارة من نار، تقتل جيش أبرهة، وحمى الله البيت الحرام من الهدم.

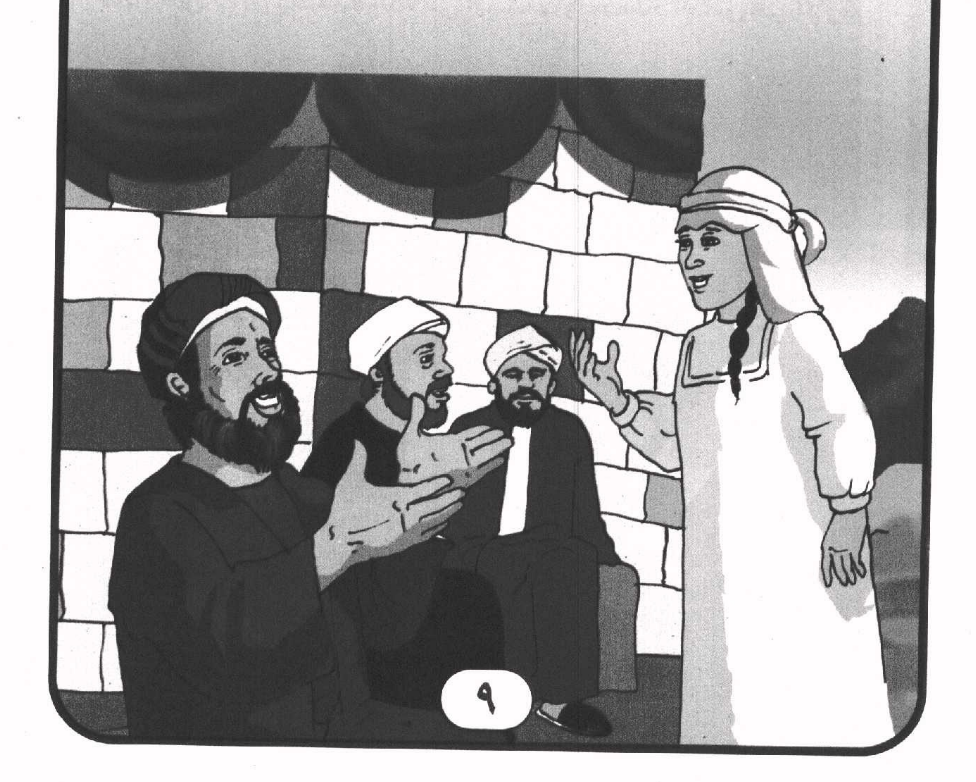


حكاية ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

وفي نفس عام الفيل، يوم الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام ٥٧١م، خرجت ثويبة الأسلمية خادمة أبي لهب بن عبد المطلب تسرع إلى سيدها، وتبشره بميلاد ابن أخيه، ففرح فرحاً شديداً، وقال لها: اذهبي فأنت حرة.

وقد كافأ الله أبا لهب لصنيعه هذا، فإنه -سبحانه- سيخفف عنه العذاب يوم القيامة كل يوم اثنين، لأنه فرح بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعتق خادمته.

وكانت الشفاء بنت عوف بن الحارث أم عبد الرحمن بن عوف هي التي تولت ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت أبي طالب.



تسمية الرسول

وأرسلت آمنة إلى جده من يخبره بميلاد الرسول فنظر إلى السماء وشكر الله تعالى، وأتى إليه، ونظر إليه وقبله ، وحمله وذهب به إلى الكعبة، ودخل به الكعبة وهو يشكر الله تعالى، ويدعو للمولود أن يبارك الله فيه، ثم خرج به ليعيده إلى أمه.

وفي اليوم السابع من الميلاد، قام عبد المطلب بختانه، وصنع له وليمة دعا إليها الناس، وسماه محمداً.

وعند الكعبة، سألت قريش عبد المطلب: لماذا لم تُسمِّه كأسماء قبيلتك، وسميته محمداً؟

فقال: أردت أن يحمده الله في السماء، ويحمده الناس في الأرض.



حكاية رضاعة الرسول

وكان من عادة العرب أن يرسلوا أولادهم في سن الرضاعة إلى البادية، لأن البادية أحسن هواء، وأنقى جواً، كما أن سكان البادية أفصح في اللسان والكلام.

ومن قبيلة بني سعد، خرجت مجموعة من النسوة، وكان من بينهن حليمة السعدية، خرجت هي وزوجها، ومعهما ولد رضيع، على أتان لها (أنثى الحمار)، ومعهما ناقة عجوز، وكان ذلك في سنة مجدبة، وكانت حليمة آخر الركب، لضعف أتانها.

ولما وصلت النسوة من بني سعد إلى مكة المكرمة، أخذت كل واحدة تبحث عن رضيع لها، وترجو أن يكون أبوه غنياً، حتى يعطيها مالاً جزيلاً، وقدر الله تعالى أن تأخذ كل من النسوة رضيعاً، غير حليمة السعدية، فإن الله لم يقدر لها أن تأخذ رضيعاً، ولما عرض عليها وعلى زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوه حباً شديداً.



أولى بركات الرسول

ومع علمهما أنه يتيم، ولكن حليمة تعلق قلبها بالرضيع فأخذته وَرَجَتْ من الله أن يكون فيه البركة، وقالت لزوجها: سآخذ محمد بن عبد الله، عسى الله أن يجعل فيه البركة لنا. فقال زوجها: نعم يا حليمة، خذيه، فوالله إني لأرجو أن يرزقنا الله به رزقًا حلالاً، وبركة من عنده.

وأخذت حليمة الرسول صلى الله عليه وسلم وسعدت به سعادة بالغة، وما إن وضعته على صدرها، حتى امتلأ ثدياها باللبن، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضع منها حتى شبع، ثم أخذت ولدها فأرضعته. فكان ذلك أول بركات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونظرت حليمة إلى زوجها، ونظر إليها، وهما يحمدان الله تعالى، فقد تحققت ما كانا يتوقعان، فهذه أول بركات رسول الله صلى الله عليه وسلم.



بركات الرسول

وأما ناقة حليمة، فقد ذهب إليها زوجها. فإذا بالناقة العجوز، قد امتلأ ضرعها لبناً، فحلب منها وشرب، وأعطى زوجته حليمة فشربت، فكان ذلك ثاني بركات رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما أذن الرحيل، وودعت حليمة السعدية آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءت لتركب ناقتها، فإذا بالناقة تسرع في المشي، وقد كانت أبطأ النوق، ففرحت حليمة. وقد لاحظ نسوة بني سعد ذلك، فإذا بحليمة تسرع بناقتها، فقلن لها: أليست هذه أتانك الضعيفة يا بنت أبي ذؤيب؟! فقالت: بلى، ولكنها بركات غلامي الرضيع. فكان ذلك ثالث بركات رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعند حلب ماعز ضعيفة فوجئ زوجها بأنها تدر لبناً وفيراً ببركة الرضيع.

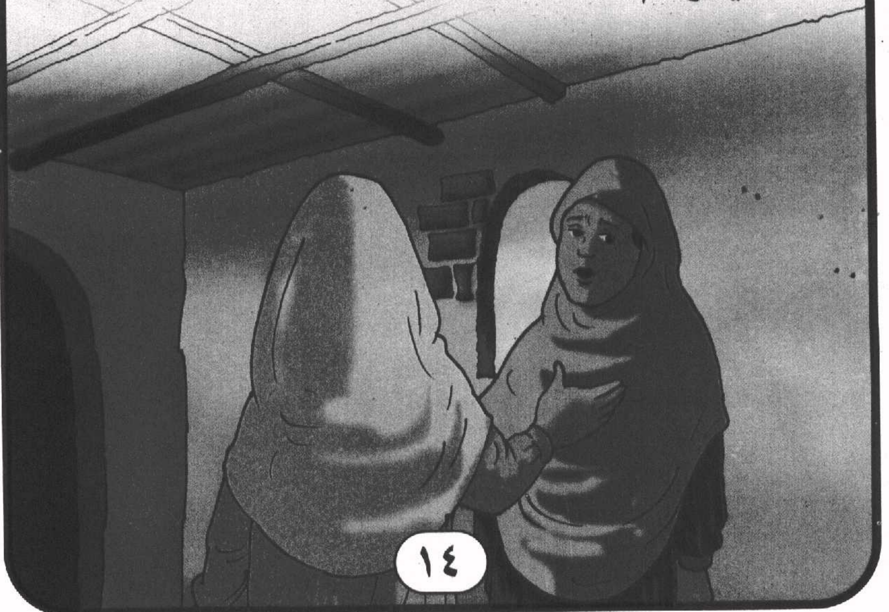
ومكث الرسول صلى الله عليه وسلم في بني سعد سنتين كاملتين.



تعلق حليمة بمحمد

ثم ذهبت حليمة إلى آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنها أن تبقي لها محمداً، حتى يشب عن الطوق، ويكبر فلما سألتها آمنة: ولماذا تريدين أن يبقى معك محمد يا حليمة؟ فقالت لها: يا سيدتي، والله، لقد أحببت محمداً حباً شديداً، منذ أخذته منك، ومازالت بركات الله تنزل علينا، منذ أن أخذناه. فقالت آمنة: والله إن ابني هذا سيكون له شأن، فاحفظيه يا حليمة. فقالت: لا تخافي يا سيدتي، فمحمد في عيني، وعادت حليمة السعدية برسول الله صلى الله عليه وسلم فرحة، فإن البركة ستبقى معنا سنين أخرى.

ولما شب الرسول صلى الله عليه وسلم، بدأ يخرج يرعى الأغنام لحليمة السعدية، وكان كلما نزل بمكان مع إخوته من حليمة، وجد فيه عشباً كثيراً، فكانت النساء تقول لأولادهن: اسرحوا، حيث يسرح راعي حليمة السعدية، لما كن يرين من بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم.



حكاية شق الصدر

وفي يوم من الأيام، خرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع ابن حليمة السعدية يرعيان الغنم، فإذا برجلين عظيمين، يأخذان رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرقدانه، ويشقان صدره، وكان أخوه من الرضاعة يشاهد ما يحدث له عن قرب، فخاف عليه، وأسرع راجعاً إلى أمه ليحكي لها ما شاهده.

فأسرعت حليمة السعدية نحو المكان الذي يرعى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وفوجئت أنه سليم معافي، لكنه كان فيه اصفرار في الوجه، فسألته عما حدث، فحكى لها، فضمته إلى صدرها، وخافت عليه، فرجعت به إلى السيدة آمنة تحكي لها ما حدث، فطمأنتها السيدة آمنة، وعاد النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى إلى بادية بني سعد.





حكاية كفالة عبد المطلب

ولم يمكث الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً بعد حادثة شق الصدر في بني سعد، قد رجع إلى أمه آمنة، لينعم بحنانها، وكانت تحاول أن تعوضه اليتم الذي عاشه.

وتذكرت آمنة زوجها عبد الله، وأرادت أن تزور قبره مع ابنها محمد، فسافرت إلى يثرب (المدينة المنورة)، فنزلت في دار النابغة عند أخوال جد النبي بني النجار، ومكثت هناك شهراً، ولما رأى اليهود محمداً فعرفوا أنه نبي هذه الأمة، وقالوا: هذا نبي هذه الأمة، ويثرب هي البلدة التي سيهاجر إليها، فخافت آمنة عليه، فرجعت به، وكان معها أم أيمن، وهي التي أخبرتها بما كان يقول اليهود، وفي الطريق إلى مكة، مرضت آمنة، وماتت، ودفنت في مكان يسمى «الأبواء» وعادت أم أيمن حاضنة الرسول صلى الله عليه وسلم به، ليكون في كفالة جده عبد المطلب.